المحاضرة الثالثة

المنهج الأسلوبي

ما2 أدب الأستاذ عدنان فوضيل

إنّ البحث في الأسلوبية وكيفية تعاملها مع النّص الأدبي ابتداء تحديد مفهومها قبل وصفها منهجا قائما بحد ذاته، والذي تمكن منذ زمن بعيد أن ينبه إلى جمالية اللغة في النص الأدبي ومكوّناتها وخصائصها في مستوياتها المختلفة، وذلك بغرض إبراز الكيفية التي استطاعت بها اللغة أو الأسلوب تحديدا من أداء وظائفها الجمالية والتأثيرية.

المفهوم اللغوي:

الأسلوبية مصدر صناعي من الأسلوب، وجذر هذه الكلمة الثلاثي هو: سلب، ومفاده انتزاع الشيء وأخذه والاستيلاء عليه، وكذلك كل طريق ممدود فهو أسلوب.

وقد انتقل الأسلوب في النقد الحديث من كونه يعني الطريق إلى علم ومنهج نقدي يتكفل برصد الملامح المميزة للخطاب الأدبي.

المفهوم الاصطلاحي:

يعرّف الأسلوب بأنّه: طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه، ولإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لا سيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات، والتصوير والإيقاع.

ومنه فإن الأسلوبية تركز على اللغة أساسا في تحليل النص ودراسته، عندما تكشف عن جوانب الخصوصية والتميز في اللغة، ويحدد **شارل بالي** وهو مؤسس الأسلوبية علم الأسلوب على أنّه العلم الذي يدرس عناصر اللغة من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري، ويرى أن مهمة

الأسلوبية تكمن في تتبع بصمات الشحن في الخطاب، لتعنى بالجانب العاطفي في الخطاب فتستقصي الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه.

أما **بيار جيرو** فيرى أنها " دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي" والقواعد في هذا المنظور هي مجموع القوانين أو الالتزامات التي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة، فالقواعد هي العلم الذي لا يستطيع الكاتب أن يصنعه، أما الأسلوبية فهي ما يستطيع فعله.

منه فالأسلوبية وفق هذا التصور تعنى بجمال تصرف الكاتب في الظاهرة اللغوية إبداعا واستعمالا، لذلك يعرف الأسلوب من هذا المنظور على أنه " **مجال التصرف**".

من جهة أخرى يذهب **رومان جاكبسون**" إلى اعتبار الأسلوبية " بحث عمّا يتميز به الكلام عن بقية مستويات الخطاب أولا، ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا، فتكون الأسلوبية ومجال بحثها إنما هو المستوى الفني للخطاب الذي يميزه عن غيره من أصناف الخطابات.

إنّ الأسلوبية، وفي ضوء المقولات السابقة تتحدد على أنها علم يتناول الظاهرة الأدبية بالبحث في مكوّناتها اللغوية وخصائصها النوعية وفي شروطها التي تمكنها من إنجاز وظيفتها المزدوجة، إبلاغا وتأثيرا.

تاريخيا:

من غير الممكن الحديث عن الأسلوبية دون الحديث عن جذورها، "إذ تأتي مباحث اللغويات باعتبارها الركيزة الأساسية لمباحث الأسلوبية الحديثة والتي ولدت على يدي " دي سوسير" ثم نماها "بالي" وتتابعت الدراسات مشككة أحيانا في إنجازات " بالي" أو موثقة لها، مما هي لإكمال جوانب البحث الأسلوبي على يد رواده من أمثال " سبتزر" و " ماروزو"(...)، و"ألفونسو" الذي صادفت الأسلوبية نجاحا كبيرا في اللغة الاسبانية على يديه، فقد اتجه إلى مطابقة النقد الأدبي مع الأسلوبية خلال تقويمه للشعر الاسباني، دون نسان المدارس الشكلانية والفرنسية والألمانية، والتي أسهمت في تطوير المنهج الأسلوبي بطريقة أو أخرى.

مجالات البحث الأسلوبي:

تسعى الأسلوبية إلى دراسة اختيارات الكاتب، التي تحقق للنص أمرين هما " **المتعة والقيمة الجمالية**"، فهي تعنى **بالنص** وتجعله محور اهتماماتها، خلافا بالمناهج النقدية السياقية والتي تتخذه وسيلة إلى غاية خارجية مما يتصل بالمؤثر لا الأثر في ذاته، لذا يعتبر النقد الأسلوبي نقدا علميا وذلك لتركيزه على دراسة مكوّنات النص الأسلوبية، وتحديد علاقاتها فيما بينها، وتحديد وظائفها الأسلوبية والجمالية.

ومنه يتبين لنا أنّ مجال البحث الأسلوبي إنّما يقتصر على النص ومكوّناته الداخلية ولا يتعداه إلى ما هو خارجي من العوامل المؤثرة، ولكنه لا يكتفي بملاحظة العلاقات القائمة بين الرموز اللسانية، بل يتجاوز ذلك إلى العلاقة بين التفكير والتعبير نحو الكشف عن أدبية الأدب ودلالاته.

ولقد تمخضت عن الدراسة الأسلوبية للنصوص الأدبية مقولات محورية، ينطلق منه كلّ باحث في محاولته مقاربة هذه النصوص، وهي:

- الاختيار:

يعتبر الأسلوب بحد ذاته " اختيارا"، فهو انتقاء يقوم به المنشىء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، ويكون حين يفضل المنشىء كلمة أو عبارة أو تركيبا يراه أصدق وأسلم في توصيل ما يريده، وبهذا يصبح الأسلوب فعلا واعيا وقصديا، وليس عفويا.

وللإختيار عدة صور، منها ما يتم على مستوى اللفظ أو المعجم (تفضيل لفظة على غيرها من البدائل)، ومنها ما يتم على مستوى التركيب، النحو بحيث يفضل (نمط ما من التركيب على غيره، وكذلك الاختيار ضمن التعبيرات المجازية المتاحة، منه فلا مناص لدارس الأسلوبية من تقصي مظاهر الاختيار وملامحه في النص الإبداعي، وصزلا إلى الوظيفة التأثيرية والابلاغية والجمالية.

- **التركيب:**

إن من شروط الجمالية الأدبية التركيب، فلا يمكن أن أن يحدث الخلق الأدبي انطلاقا من عنصر واحد، بل بتضافر كل العناصر، فالتركيب **هو الذي يقوم بعملية تنظيم الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي متوسلا بعمليتي الحضور والغياب**، أي ان الكلمات في الخطاب تتركب من مستويين حضوري وغيابي، فالأول يكمن في حضور المفردات، والثاني يتأتى باستدعائها في ذهن المتلقي.

ولعل التركيب لا يقتصر على التنظيم العادي، بل يتعداه إلى تفريعات تعبيرية **كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير.**

- **الانزياح:**

يعد الانزياح مؤشرا نصيا على أدبية النص وشعريته، ذلك أن الخروج عن النسيج اللغوي العادي في أي مستوى من مستوياته، الصوتي، التركيبي، الأسلوبي، البلاغي، يمثل في حد ذاته حدثا أسلوبيا.

يعرف الأسلوب على أنه **انزياح أو انه انحراف عن قاعدة ما، أو أنه لحن مبرر عن نموذج ينظر إليه على أنه نمط " معياري"**، فهو انحراف الكلام عن نسقه المألوف وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ومنه فهو **انحراف عن النمط المعياري أي مخالفة للطريقة العادية أو المتوقعة في التعبير.**

هذا الراي يبين مدى الانزياح الذي يحدث على مستوى اللغة بزعامة جاكبسون، أما الرأي الآخر والذي يتزعمه الباحث ميشال ريفاتير، فيعتمد في تحديد الانحراف بوصفه ظاهرة أسلوبية على المتلقي باعتبار أنه معيار من معايير الأسلوبية، إذ حسبه لا يتحدد عن طريق تمثل بنائه اللغوي، بل بتأمل ما يولده من استجابات لدى المتلقي.

منه، فإن مهمة الباحث الأسلوبي ليست باليسيرة على اعتبار أن المادة التي يتعامل معها وهي الخطاب الأدبي مادة مزدوجة الوظيفة والغاية، فوظيفتها ليست عند حدود تبليغ الرسالة، بل تتجاوز ذلك نحو إمكانية التأثير العاطفي والجمالي.